أهمية التقويم الهجري

بقلم الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

وبعد:

إن اجتماع كلمة المسلمين وعدم اختلافهم من أهم مقاصد شريعتنا الإسلامية وقد قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

* عبدالعزيز بن حمين بن أحمد الحمين، متخرج في كلية الشريعة بالرياض عام ١٤٠٧هـ.
عمل قاضياً بمحكمة العلا عام ١٤١١هـ، والعمل الحالي: رئيس لمحكمة محافظة الرس.

ويتفق جميع العقلاء على أن الخلاف شر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، وأن من أهم الأشياء التي يجب أن تظهر اتفاق كلمة المسلمين في شعائر الإسلام التعبدية العامة التي تميزهم عن غيرهم من الأمم، ومن الشعائر المؤقتة بوقت معين شعيرة الصيام وشعيرة الحج والأعياد، ومثل هذه الشعائر لا يجوز الاختلاف في وقتها في القطر الواحد كما هو واقع في بعض الأقطار، ويكثر هذا في البلاد التي يشكل المسلمون فيها أقلية، حيث إنك تجد في البلد الواحد من هو صائم وتجد من هو مفطر، بل تجد في الأسرة الواحدة الصائم القائم المعتكف وأخوه فرح جزل بعيد الفطر، فهل بعد هذا الاختلاف اختلاف؟ وهل يليق بالمسلمين مثل هذا الاختلاف في وقت تقدم فيه العلم وسهلت وسائل الاتصال ووسائل الرصد والحساب، وإن من الواجب المتعين على العلماء الربانيين أن يسعوا حثيثاً لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم في شعائر دينهم، والتي من أهم مقاصدها جمع الناس في البلد الواحد في مكان واحد كصلاة العيدين، أو على حال واحدة كالصوم والفطر والعيد، ولعل هذا المؤتمر يحقق هذا المقصد العظيم الذي طالما تمناه كل مسلم غيور حريص على اجتماع كلمة المسلمين، والله أسأل أن يجزي من قام على هذا المؤتمر أو شارك فيه خير الجزاء وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وهناك أمور نحب أن نشير إليها وهي:

أولاً: أن التقويم الإسلامي هو التقويم الهجري وهو بالأشهر القمرية، وهذا أمر مرتبط في جميع شعائر الإسلام كالصوم والحج، وحول الزكاة، وعدد النساء وغير ذلك قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [**البقرة**: ١٨٩] وقال صلى الله عليه وسلم - وهو إمام هذه الأمة -: «إنا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، الشهر هكذا وهكذا» فإما أن يكون ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً وهي الأشهر القمرية، وإن اعتداد بعض المسلمين الآن بالتاريخ الميلادي خطأ واضح يدل على عدم التميز والاعتزاز بالدين الإسلامي وشرعه، فيجب إنكار ذلك على كل من ينتسب للإسلام من دول أو مؤسسات أو أفراد وتبيين أن ذلك ينافي صدق الانتساب للإسلام.

ثانياً: قال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [**الأنعام**: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [**يونس**: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [**إبراهيم**: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [**الإسراء**: ١٢].

وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [**البقرة**: ١٨٩]

وقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] إن هذه الآيات وغيرها تدل على عظمة الله سبحانه وعظيم خلقه في هذا الكون، حيث إنه جعله يسير على سنن ثابته وقوانين لا تتغير ولا تتبدل، فليس هناك أدنى خطأ ولا أي شذوذ وأن جميع هذا الكون مترابط ومتناسق بكل دقة، وهذا يدل على قدرة الخالق وعظيم صنعه ورعايته لخلقه، ولذلك نجد أن علماء الفلك يقولون: إنه إذا ظهر الهلال برؤية شرعية صحيحة في مكان ما فإنه يظهر كذلك في جميع الأماكن التي تشترك معه في نفس المطلع في هذا اليوم، فجميع الأماكن التي تقع غرب هذا الموقع فإنه يظهر فيها الهلال ولا بد. ويبدأ فيها الشهر الهجري الجديد بينما جميع الأماكن التي تقع شرقه لا ترى الهلال إلا في اليوم التالي، وعلى ذلك فهي تتأخر يوماً عن البلاد الغربية، وبذلك تنقسم الكرة الأرضية إلى قسمين لا ثالث لهما، فينبغي للعلماء أن يدرسوا هذا الاكتشاف العلمي وذلك بسؤال علماء الفلك، فإن ثبت عندهم ثبوتاً يقينياً لا مجال للشك فيه فينبغي أن تتوحد كلمة علماء المسلمين في جميع أقطار المعمورة، فإذا ثبتت رؤية الهلال في بلد ما ثبوتاً شرعياً فلا ينبغي أن يكون ثبوته إقليمياً لا يتجاوز حدود ذلك البلد في مطلع الهلال، وهذا يحتاج بعد الاتفاق عليه إلى مزيد من الاتصال بين العلماء والمرافق الشرعية في جميع أنحاء المعمورة، وهو أمر لا بد منه.

ثالثاً: هناك رأي لبعض العلماء المعاصرين وله أصل عند المتقدمين وهو

إثبات الهلال بالحساب، فقد نقل عن الإمام مطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو العباس بن سريج وابن قتيبة تفسير لفظ حديث: «إذا غم عليكم فاقدروا له». والذي روي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر - أن معنى اقدروا له أي قدروه بحسب المنازل، وهو خطاب لمن خصه الله بهذا العلم.

ولعل معارضة هذا الرأي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» الحديث، قول غير سديد حيث إن وصف هذه الأمة بالأمية من النبي صلى الله عليه وسلم ليس وصفاً لازماً ثابتاً مقصوداً من قبل الشارع، وإنما هو حكاية للحال التي كانت تعيشها الأمة في ذلك الوقت، ولا يخفى على الجميع حث الإسلام على طلب العلم، واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم لإخراج هذه الأمة من أميتها، ولا أدل على ذلك من حادثة افتداء أسرى بدر بتعليمهم الصحابة القراءة والكتابة، وهو القائل في هذا الحديث «لا نكتب ولا نحسب».

ومن العلماء المعاصرين القائلين بهذا القول المحدث أحمد محمد شاكر، وكذلك العلامة محمد رشيد رضا، والشيخ/ مصطفى الزرقاء، وذلك بعد أن أصبح علم الفلك يدرس في جامعات شتى، وغدت تخدمه أجهزة ومراصد على مستوى رفيع ودقيق قائم على المشاهدة بواسطة الأجهزة والمراصد وعلى الحساب الرياضي الدقيق، وأصبح من المقرر أن احتمال الخطأ في التقديرات العلمية الفلكية هو نسبة واحد إلى مائة ألف في الثانية. ومن الخطأ الاعتقاد





بأن الحساب الفلكي هو حساب أصحاب التقاويم الموجودة الآن، والتي تطبع وتوزع على الناس، فهذه التقاويم كثير منها يعتمد على حسابات وتقديرات وكتب قديمة، وفيها اختلاف بين بعضها البعض، فمنها ما يجعل شعبان ٢٩ يوماً ومنها ما يجعله ٣٠ يوماً، واختلاف في مواقيت الصلاة وسائر الشهور، لذا فهي لا تقوم على علم يقيني، لأن اليقين لا يعارض بعضه بعضاً، وعلم الفلك الحديث قائم على المشاهدة والتجربة، وغدا يملك من الإمكانات العلمية والعملية «التكنولوجيا» الشيء الكثير، وأصبح من أسهل الأمور عليه أن يخبرنا عن ميلاد الهلال فلكياً وعن إمكان ظهوره في كل أفق بالدقيقة والثانية لو أردنا، كما أخبرنا عن الخسوف والكسوف، وإذا حصل القطع بالحساب فينبغي أن يعتمد عليه كأوقات الصلاة، فإذا علم وقت دخول الصلاة بالحساب فقد وجبت، ولا يقول أحد أنه لا بد من رؤية الشمس عند زوالها أو غروبها، فالأمر المطلوب المتعبد به هو أداء الصلاة في وقتها المقطوع بدخوله، فإن الله سبحانه أجرى هذه الأفلاك على نظام واحد طوال الدهر قال تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ [**الرحمن**: ٥] وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى والتي تقدم ذكر بعضها.

وقد ذكر السبكي في فتاواه أن الحساب إذا نفى إمكان الرؤية البصرية فالواجب على القاضي أن يرد شهادة الشهود وقال: «لأن الحساب قطعي والشهادة والخبر ظنيان والظن لا يعارض القطع، فضلاً عن أن يقدم عليه . . .

والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكناً حساً وعقلاً وشرعاً، فإذا فرض دلالة الحساب قطعاً على عدم الإمكان، استحال القبول شرعاً لاستحالة المشهود به، والشرع لا يأتي بالمستحيلات، أما شهادة الشهود فتحمل على الوهم أو الغلط أو الكذب . . . » ا. هـ.

وختاماً لهذا الرأي نقول: إن اتساع رقعة العالم الإسلامي ووجود أقليات مسلمة في كل بلد وصقع أمر يحتم علينا النظر في هذا القول ودراسته دراسة متأنية مع النظر في المصالح والمفاسد. مع الرجوع إلى علماء الفلك المختصين لمعرفة المزيد من إمكانية تطبيقه من عدمه، والله الهادي إلى سواء السبيل.